الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات أدبية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة العاشرة: فن الرواية

حدثت في العصر الحديث أو عصر النهضة كما يسمى تغيرات شاملة على جميع الأصعدة، وربما فلما أثمرت بواكير النهضة الحديثة، اقتبس الأدباء العرب ، فيما اقتبسوا من أدب الغرب القصة الإفرنجية بقواعدها ومناهجها وموضوعاتها، وكان أول من فعلكان الحظ الأوفر للأدب ذلك اللبنانيون، كسليم البستاني المتوفى سنة 1844 وجرجي زيدان المتوفى سنة 1914 ثم عالجها بعد ذلك المصريون علاج المحاكاة لما قرأوا من تلك القصص، ومن بواكير النهضة لجأ الأدباء إلى الاقتباس من الفنون الغربية فكان اللبنانيون السباقون إلى ذلك ثم توالى الاقتباس على يد العديد من الأدباء كما سبق الذكر، وكان أول ما ظهر طائفة من القصص والأقاصيص المترجمة، بعضها كان أشبه بالاقتباس مبتعدا عن أصله بالحذف أو بالزيادة أو بالتغيير كغصن البان لنجيب الحداد، والفضيلة لمصطفى المنفلوطي، والبؤساء لحافظ إبراهيم.

جعلت القصة العربية لذاتها مكانا مميزا وطابعا خاصا مستقلا لها تناولت مواضيع خاصة بها، ويرجع الفضل في ذلك إلى الترجمة ففي أواخر القرن التاسع عشر من العصر الحديث حين نشطت حركة الترجمة، ظهرت قصص مترجمة عن الأدب الغربي كقصة " مغامرات تلماك " التي ترجمها رفاعة رافع الطهطاوي رائد الترجمة الحديثة.

كانت هذه الترجمات والاقتباسات سببا مباشرا في تطور الفن القصصي، فما كان للقصة العربية إلا أن تأخذ لنفسها مكانا بين الآداب والفنون فأخذت تتميز بطابعها وتستقل بموضوعها فظهرت طائفة من القصص الفنية القوية كزينب لمحمد حسين هيكل، والأيام لطه حسين، وإبراهيم الكاتب للمازني، وسارة للعقاد، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم، وبداية ونهاية لنجيب محفوظ.

وهناك من يرى في تلخيص الإبريز في تخليص باريس مطلع الفن القصصي في الأدب العربي الحديث، ويذكرون بعد ذلك المويلحي وجرجي زيدان ويتطرقون إلى المترجمين والمقتبسين، ثم يحطون الرحال عند رواية زينب لمحمد حسين هيكل التي أسماها صاحبها مناظر وأخلاق ريفية بقلم فلاح مصري، وقد عدت هذه الرواية فتحا في الأدب المصري، بل عدت أول رواية واقعية في الأدب العربي الحديث.

اقترن ظهور **الرواية التاريخية** بما كتبه جورجي زيدان الذي اتجه في كتاباته صوب التاريخ العربي والحضارة الإسلامية متخذا منه مادة لمضامين أعماله الروائية والعمل على إعادة صياغته بطريقة فنية تسهل قرائته من لدن القراء والمثقفين، مقدما عددا من الروايات التاريخية التي تضم في ثنايا البناء القصصي جانبا من التاريخ الإسلامي مثل(فتاة

غسان)لعرض الأحداث التاريخية التي صاحبت الغزوات الإسلامية الأولى و(أرمانوسة المصرية)بيانا لما صاحب فتح العرب لمصر من أحداث و(عذراء قريش)و(غادة كربلاء)تأريخا للصراع السياسي في العصر الأموي، وله أيضا أعمال أخرى أرخت بطريقة فنية لأحداث كثيرة متصلة بالأحداث التي واكبت التاريخ الإسلامي مِن مثل (فتاة القيروان) و(شجرة الدر)و(فتح الأندلس).

قامت روايات على عنصرين أساسيين :الأول عنصر تاريخي يعتمد على الأشخاص والحوادث والثاني عنصر خيالي مبني على علاقة غرامية تنتهي بانتهاء الأحداث التاريخية في متن الرواية؛ ولذلك لا يمكن عد روايات جرجي زيدان التأريخية تراجم لشخصيات إسلامية؛ لأن المعنى المتعارف عليه للتراجم يدل على سرد موثق لحياة علم من الأعلام من مولده إلى وفاته بدون تدخل للخيال في سرد حياة الذات، وهذا ما لا ينطبق على مفهوم(العمل الروائي)حيث يمثل عنصر الخيال مكونا أساسيا من مكوناته، والعملية مرهون نجاحها بما يحققه الكاتب الروائي من اختيار للأحداث وحسن عرض لها ومراعاة الانسجام بين شخصياتها، حتى تتميز شكلا ومضمونا عن المدونة التاريخية .لقد اعتمد جرجي زيدان في عرض أحداثه رواياته أسلوبا يسرح في خياله ما شاء، مع أن الخيال المسموح به ههنا، في اعتقاد البعض، ينبغي ألا يتصل بالشخصيات الرئيسة أو بالأحداث الكبرى، وكل ما يجريه المؤلف من أقوال على لسان أحد أبطال عمله بلا سند تاريخي يحسب عليه في نهاية المطاف.

الرواية الفنية:

لقد لبس هذا الفن ثوبا جديدا، فكان العصر الحديث عصر نهضة وتطور نتيجة الاحتكاك بالغرب فكان للترجمة نصيبها وحظها الأوفر في التأثير حتى صار الأدباء ينسجون على منوالها فحاول الأدباء أن يمصروا الفن القصصي وكل ذلك أدى إلى الإبداع والابتكار وأن الرواية العربية وليدة الثقافة العربية فبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت أول محاولة في القصص الحديث حين حاول الأدباء الابتكار دون أن يترجموا أو يتأثروا تأثرا مباشرا بالأدب الغربي، وتنوعت هذه المحاولات الفنية في عالم القصة، فمن الأدباء من حاول النسج القصصي ولكنه في إطار قديم من البلاغة اللفظية والسجعة المستملحة مثل المويلحي في" حديث عيس بن هشام "ومنهم من حاكى التاريخ القصصي في تراثنا في صورة جديدة متحررا من النسج القديم سواء في الموضوع أو الأسلوب مثل محمد فريد أبو حديد وأحمد ب اكثير وعلي الجارم.

ظلت الكتابات الأولى محاكاة و تصويرا إلى أن كتب محمد حسين هيكل رواية زينب فحملت ملامح الابتكار والتجديد عل مستوى الموضوع والأسلوب، أضف إلى ذلك ترجمتها للروح المصرية الخالصة، كانت رواية زينب فاتحة الفن الروائي في مصر إلا أن هناك اعتراض عن كونها فاتحة الفن الروائي، فبطرس البستاني يشير إلى الموقف المتناقض لصاحبها،

فهو لم يجرؤ في البداية على تسميتها رواية، ثم يعدها في مواضع أخرى فتحا جديدا في الأدب المصري، ويرى بطرس أن هذه الرواية تتميز بميزتين هما :الفردية... والوطنية والمصرية.

الرواية الجزائرية:

يرجع سب تأخر ظهور الرواية الجزائرية إلى كونهذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به .وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة القومية أدبا عربيا اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها تعبر عن واقع الحياة أثناء الثورة التي أحدثت تغيرا عميقا في الفرد فكان أسلوب القصة ملائما للتعبير عن الموقف أو عن اللحظة الآنية وعن التجربة المحدودة بحدود الفرد.

من الأسباب التي أدت بتأخر الرواية في الجزائر المستعمر بالدرجة الأولى، إضافة إلى صعوبة الفن الروائي الذي يحتاج إلى صبر وتأمل وفي ظل المستعمر لم تكن لتتاح لهم الفرصة، فاتجه الكتاب إلى الاهتمام الكتاب بكتابة القصة القصيرة كونها سهلة الأسلوب تعبر عن تجاربهم المحدودة أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع من المجتمع، رحابة واسعة، لشخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها تتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها، ومن ثم كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل ...ثم أن الرواية تتطلب لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة وهذا ما لم يتوفر لها إلا بعد الاستقلال ...وفوق هذا فإن كتاب الرواية الجزائرية لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون عل منوالها كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثا غنيا ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي.

اعتبرت "غادة أم القرى "البدايات الأولى للفن الروائية الجزائرية، ولكن ذهب بعض النقاد أن الرواية من السبعينيات، بالرغم أن هناك بذورا ظهرت بعد لحرب العالمية الثانية يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها بنائها الفني، فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها" أحمد رضا حوحو " وسماها" غادة أم القرى"وتعالج وضع المرأة ولكن في البيئة الحجازية.

وعلى الرغم من كتابتها في بيئة حجازية إلى أنها كانت تعالج موضوع المرأة الجزائرية والكبت الذي كانت وتعاني منه، فقد أهداها" أحمد رضا حوحو "إلى المرأة الجزائرية قائلا: إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم، من نعمة الحرية... إل تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود، إل المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة، تعزية وسلوى.

المراجع المعتمدة في المحاضرة:

- ناصر بركة: النص الأدبي الحديث.
- علي الأطرش: النص الأدبي الحديث.